باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحاداً ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتحديداً للاذهان ولكن النهية في ما يدرج فيه على احتمايه فنحن براء منه كله ولا ندرج ما خرج عن موضوع المتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والمظهر مختلفان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُختار على المطوّلة

عظة الدهر لابناء العصر

لا تظلم الدهر مهما جار او عدلا ... فني مدار القضا يجري القضا سُبُلا
والحي في ملتقى الاهوال تقذفهُ ... يد الزمان فلا يلقى لهُ حِوَلا
من لم يطأطئ لدى الاهوال هامتهُ ... يظلّ في ملتقى الاهوال معتقلا
وللمقادير في مجرى الامور قوًى ... تقوى على ان تدكّ السهل والجبلا
في كفها تحمل الافلاك سائرةً ... فلا تضل السرى معها سرت عجلا
ان الليالي اذا جنّت تراجع ما ... مضى نهاراً وتروي الحادث الجللا
توّرق الطفل في مهد الرضاع فان ... يمسي الوليد وشعر الرأس منظرهُ
يبدو لناظره كالليل مكتهلا
(ما بين غمضة عين وانتباهتها) ... يغلّ بالشيب شعر الراس مشتعلا
والناس ما بين غرّ مسّهُ خَبَل ... وبين حرّ يرى التمويه مبتذلا
يغالب الدهر بالحيني فيغلبهُ ... لدى النزال جباناً كان او بطلا
والحر يرجو اذا ما عاش يذكرهُ ... حيٌّ وان مات يبقى الذكر منتقلا
والخلق ما بين مفتون ومعتدل ... يرضى العدالة فيما قال او فعلا
لله ما شاء في تدبيره حكم ... لا يدرك العقل من اسبابها علا
فالسعود فريق لا يضل ولو ... شاء الضلال لضل القصد واعتدلا
والنحوس فريق لو يساق الى ... حسن السبيل لما الفى لهُ سبلا
وما السعادة ان تسدي الامور الى ... من ليس يحسنها قولاً ولا عملا

وانما تحسن الارزاق بدركها ... موفّق جدّ في الاسباب واتكلا
والدهر كالصلّ ان فاوضت ثورته ... أبدى لك الاذى ثم انقض مقتتلا
دعهُ اذا ما قسا ولان غير شجٍ ... ليقضي الله امراً شاءهُ ازلا
والدهر عاجلهُ ماضٍ وآجلهُ ... كالظل اطول ما يبدو اذا افلا
فاصبر على ما تلاقي مدة ان لهُ ... حالاً تمرُّ وحالاً تشبه العسلا
وسالم الدهر والايام متقياً ... من الاذى ما يسيء الحال والاملا
وأرض الضمير وما يرجى اليك به ... ان كان قلبك بالاحسان مشتغلا
فمن عيوب الورى ان يستبدّ فتى ... بالامر لا ناقة يرجو ولا جملا
يكفي الاجير من الدنيا نزاهتهُ ... وهي الشفيع لدى من يفهم الرجلا
فللقلوب وان دقّاتها خفيت ... عن العيون فعال تهدم الجبلا
وللتكبرب سر من تواضعهِ ... مع الوجود يدوم الجذب متصلا
وللكواكب من حسن الادارة ما ... يكون للمرء في اعماله مثلا
كأنما الناس في ماضي الحياة لنا ... دور فتشهدهُ الاجيال والدولا
فليحسن المرء في التمثيل آيتهُ ... كي يشهد العلم من لم يشهد العملا
ولا يشد يداً ان طوقت عنقاً ... قالين اولى بمن يقسو اذا عقلا
ومن يول رقاب الناس راق لهُ ... ذكر يطيب اذا ما ظلهُ رحلا
ومن يراقب صروف الدهر شاهدها ... لا يقبل العد تنصيلاً ولا جملا
وشيمة الوغد كالطبلي يحار لدى ... محولها الرأي حتى تنتهي حيلا
تخال ظاهرهُ الحسنى وباطنهُ ... كرجل اججت احشاؤهُ فغلا
يأتي عبوساً ويدنو باسماً ويرى ... ظي ابتساماته ما لو بدا قتلا
يحتال بالناس للابقاع في شرك ... من الشباك كمن يستدرج الحجلا
كم غادر يقسم الايمان مدعياً ... صدق الاخاء ويحوي قلبهُ دغلا
يرضى عن العيب ان حابى ويغضب ان ... جافى كأن اساس العدل ما اعتدلا
ويزدري الفضل جهلاً منهُ اوحداً ... ما لم يكن راضياً عمن لهُ فعلا
وقلَّ عند ذوي الغايات منصف من ... يرضي الضمير ولو يستشهد الرسلا
فاستكثر الخير للاخرى ولو كرهَ الحسودُ واشتد يرجو دونهُ بدلا

والخير ان كان تفضيل فاحسنهُ ... ما يدفع الجوع او ما يدفع العللا
ومن رأى وجهة الاحسان قاصرةً ... على سبيل تعدى الحد وانتقلا
وللحياة تقاليد وسيف يدها ... من معجزات الاماني ما حلا وغلا
تبدو فيعدو لها العاني يمدُّ يدًا ... وحظهُ بالندى حظ السراب جلا
يبني القصور منامًا في الهوا فاذا ... ما أمَّها لا يرى قصرًا ولا طللا
ومن رزايا الورى يشقى الحياة اب ... باسم البنين ولا يشكو الشقا خجلا
يواصل الليل سعيًا بالنهار وما ... زار الكرى منهُ جفنًا او هوى مقلا
يقضي الليالي على ضيم وفي ضجر ... والابن يلهو وعن اشغاله غفلا
ومن تجافى رضا الاباء ضلَّ هدى ... واستغضب الله والاوطان والملا
والله يرضى عن الابناء ما رضيت ... آباؤهم عن سلوك طاب واعتدلا
وما مجاهدة الآباء مجدية ... نفعًا اذا الابن من حسن الخلال خلا
كم والدٍ سرَّ ان بلقى الوليد نما ... جسمًا وظن نمو العقل محتملا
فراعهُ اليأس واستلقى يعضُّ يدًا ... ويصفق الكف حزنًا صدَّع الجبلا
يا فخار لمن لا مال في يدهِ ... يقيهِ مدَّ يدٍ قد تتقي شللا
ومن محت يدهُ عن وجههِ عرقًا ... ينصبُّ من دمهِ كالدر منهملا
لا يبسط الكف تبذيرًا ليخدعهُ ... بالمدح مستغفل ان آب او قفلا
وليس يحلو التحلي بالشباب اذا ... لم يتخذ دونها ثوب الحيا حللا
وما الرقي تماثيل نكررها ... لفظًا وتفخر من تعظيمها جللا
وانما ادب في النفس شب على ... حب الفضائل فاسترعى التقى عملا
وما تغني الفتى بالنفس يطربهُ ... مثل استماع صدى اعمالهِ نقلا
والفخر بالنسب الموروث منقصة ... ما لم يكن عمل الانسان متصلا
ومن تلاعب بالايام في صغر ... لمت بهِ كبرًا واستدبرت مللا
ومن رأى ولدًا يناى بجانبهِ ... عن نصح والدهِ فليهدهِ السبلا
يلين قلبًا ويحلو منطقًا ويفي ... عهدًا ويرعى الوفا طفلاً ومكتهلا
يرعى الوليد صغيرًا كي يكون غدًا ... للوالدين يدًا تسقيهما العسلا
فمن دم الابوين التفَّ ساعدهُ ... واشتدساقًا وربى المعظم والمضلا

وما الجهاد لتقويم النفوس بغي عند امرئ يألف الاهمال والكسلا
والنجابة في وجه النجيب على تمامُ حسن خلق في خلقهِ كملا
والعقل كالشمس يلقى من اشعتهِ على الوجود شعاع النبل مختزلا
كلاهما حدق الابصار آلةُ مر صدٍ ترينا الذكا ان قل او فضلا
والطفل كالزرع قد يغو ولا ثمر يرجى لمن شاء يجني منهُ ما حملا
فلا يغرّك ان تلقاهُ في صغر عليهِ من لمحات الاذكياء طلا
ما احسن الابن يعلو ان نأى خبراً وان دنا طاول الجوزاء والحلا
يرضي الجبان اذا خارت عزائمهُ يوم الرهان يضحي النفس مختبلا
فلا ينالنَّ من الدنيا سعادتها ولا يرى سمة الاخرى اذا وصلا
شتان بين دم يجري النشاط بهِ حيًّا وبين دم عن جريهِ بطلا
كأن للدم من جري النشاط يداً تثير في الجسم ما من حسهِ خدلا
ان الغيور اذا ناديتهُ ذئباً ابى وان يُدعَ رأساً قام وارتجلا
ولا ينال المعالي من ينام عن لين الفراش ويلقى عيشهُ ذللا
فالبس رداء على قدر الوقار بهِ واجعل زكاة الردا من جسمك البالا
واعمل وانت صغير ما تضيق بهِ ذرعاً اذا جف منك العود او ذبلا
وانبذ مطاوعة الداعي الى لعب فللملاهي يشد الرحلَ من عطلا
وكن حليف حنان للدروس فما عهد الدراسة باقٍ لو بقى اجلا
وانبل بقلبك وحيًا واستمع اذناً وارع المعلم مهما اشتد او سهلا
فالمنهل العذب مهما عز موردهُ لا يثنني عنهُ عزم المرتجي املا
سارع اليهِ غلاماً كنت او رجلاً وأهد الزمان من الاعمال ما جملا
وجمّل العلم بالآداب فهي لهُ كالملح ان يخلُ منهُ الزاد ما أكلا
وما ازدياد الفتى علماً يفيد اذا لم يكتسب ادباً يجو بهِ الزللا
وحلية العلم تهذيب النفوس فان طاش امروٌ وادعاهُ عدَّ منتحلا
والعلم ان قل عند المرء يكسبهُ من الغرور ادعاه يخدع الجهلا
يأبى النصيحة كبراً وهو يجهلها ومن تمادى على فعل الخطا ثقلا
يخطو خطا الزهو والاعجاب من صلف ويرقص الكتف ان نودي وان سئلا
ورب حاتٍ يرى في موقف الشهوات خاشع الطرف من زلاتهِ وجلا

يسائل العمر عن كان يمتعهُ بالامس كالمتناسي سوء ما فعلا
والعمر من شأنهِ يتلصُ واحدة منا بواحدة حالاً ومنتقلا
ومن رأى مصعداً بعد الصعود هوى فانهُ ازمن يعلو ثم علا نزلا
فليقلل المرءُ من غلوائهِ حذرا من كبوة يتوارى خلفها خجلا
وليس يجدي وقد زلت بهِ قدم يشكو القضا ندماً او يرتجي حيلا
وطيُّ مخبأ الايام معضلة حب الحياة وان ضاقت بنا سبلا
إلام يشكو الورى والجيل يتبعهُ جيل على المهد والترتيب قد جبلا
وباطلاً زعموا ان الحياة لما صفو يدوم ويحلو كلما صقلا
وليس في الناس من يدري بدايتها ولا نهايتها مهما ادعى الجدلا
وانما آيةٌ والله مودعها في الارض مادام سرُّ الشمس متصلا
ربِّ اهدني للصراط المستقيم ولا تجعل سوى العلم للابناء متكلا

الدكتور
السيد بك رفعت

شكر وايضاح

سيدي محرر المقتطف الزاهر

اشكر لكم اهتمامكم بانتقاد عبارات جاءت في ترجمتي لكتاب « فتوح البلدان » للبلاذري فضلاً عن الاشارة اليهِ وتقريظهِ في « مقتطف » آب (اغسطس) . بيد انهُ لا يتأتى من الملاحظات الآتية

انهُ وان تبادر الى الذهن لاول وهلة ان المقصود من قول البلاذري في الصفحة الاولى « رددتُ من بعضهِ [الحديث] على بعض المقابلة والنقد — وهو ما فهمتموهُ من التعبير — الاَّ انهُ لدى مراجعة كتب اللغة تجدون ان المراد انما هو ما ذهبت اليهِ في الترجمة من معنى اللمّ والتركيب . واليكم ما جاء في « الفائق » للزمخشري جزء اول صفحة ٢٣٦ : « وردّ اولاها [الرعيّة] على أخراها . . . . اي اذا استقدمت اوائلها وتباعدت عن الاواخر لم يدعها تتفرّق ولكن يجمع المستقدمة حتى تصل اليها المتأخرة فتكون مجتمعة متلاصقة » . وفي « النهاية » لابن الاثير جزء ثان صفحة ٧٥ : « تردّد بعض خلقهِ على بعض وتداخلت

اجزاؤهُ » وصفحة ٧٦ : « وردَّ اولاد على اخراها اي اذا تقدَّمت اوائلها وتباعدت عن الاواخر لم يدعها تتفرَّق ولكن يحبس المتقدمة حتى تصل اليها المتأخرة » . والمعنى هذا هو الذي فهمهُ دد غويه على ما ذكر باللاتينية في آخر « فتوح البلدان » صفحة ٤٣

اما لفظة طوامير المرادفة لقراطيس فانهُ وان كان المعنى الشائع صحف البردي المستعملة للكتابة كما ذكرتم وكما نوَّهتُ في الحاشية الاولى على الصفحة ٣٨٣ من ترجمتي الاَّ انهُ يلوح لي ان البلاذري استعملها بمعنى « البُرُد » اي الاقمشة ولذلك ترجمتها ب Fabrics واذا راجعتم « القاموس » « وتاج العروس » تبين لكم انها تُستعمل لذلك المعنى . وهو المعنى الذي فهمهُ زيدان في كتابهِ « تاريخ التمدُّن الاسلامي جزء اول صفحة ١٠٣ » حيث قال : « والقراطيس بُرد مصرية كانوا يحملون بها الاتية والثياب » واشار اليهِ Lane في قاموسهِ المعروف تحت قرطاس حيث قال : "A kind of the fabric of Egypt" وربما كانت اللفظة (طومار) يونانية كما ذكرتم او ابيبرية كما ذكر فرنكل (Frankel) في كتابهِ "Aramäischen Fremdwörter" صفحة ٢٥١

ولا يُفهم من ردّي هذا اني اعتقد في ترجمتي الكمال فاني اشعر اني برغم كوني بذلت المجهود في البحث والتنقيب فالترجمة لم تأتِ خلواً من الضعف في بعض التعابير وما ذلك الاَّ لصعوبة المسلك وتعقيد لغة الكتاب وبُعْد عهد مؤلفهِ . واقبل في الختام فائق احترامي

جامعة كولمبيا — نيويورك فيليب حتي

[المقتطف] لو قال البلاذري « رددت بعضهُ على بعض » بغير حرف « من » كما قال الزمخشري « ردَّ اولاها على اخراها » لما خامرنا ريب في صحة ما فهمتموهُ ولكن يبعد عن الظن انهُ ادخل هذا الحرف عبثاً . ثم انهُ ينتظر ممَّن عُني بجمع الاخبار المختلفة واختصارها مع ما فيها من الاختلاف والتناقض ان يعنى ايضاً بمعارضة بعضها ببعض لتمحيصها وابقاء الراجح وترك المرجوح عند اختصارها . وتفضل ان يكون هذا مراد البلاذري على ان يكون مرادهُ مجرَّد « الم والتركيب » لان المعنى الاول احرى بمن كان مثلهُ ولو كان المراد لا يدفع الايراد . ومع ذلك فقد يكون ما فهمتموهُ هو الصواب